النبر الفونولوجي والبناء التطريزي

الدكتورة كريمة جادي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس
المغرب

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى معالجة أهم عنصر من عناصر الوحدات الصوتية للدرس الفونولوجي وهو النبر لأن النبر يقع على المقطع وبذلك يتشكل بناؤه التطريزي، ويمكن أن يظهر من خلال التغيرات التي تطرأ على الوحدات الصوتية، بحيث يتميز كل مقطع بنغمة معينة، فتغيير النبرة يحقق وإيقاعا مميزا في نفسية المتلقي.

الكلمات المفتاحية: النبر- المقطع- الإيقاع- التطريز

Abstract:

This article aims to address one of the essential elements of the phonological units for the phonological lesson, which is intonation. Intonation falls on the segment, thereby forming its embellished structure. It can be manifested through changes occurring in the sound units, where each segment is characterized by a specific tone. Altering the intonation achieves a distinctive rhythm in the psyche of the receiver.

Keywords: Intonation, Segment, Rhythm, Embellishment

مقدمة:

يعد النبر ملمحا من الملامح التطريزية[1] المتنازع بشأنها؛ إذ ولد قدرا معتبرا من الجدل النظري، ومازال هناك تباين بخصوص الطبيعة الأصواتية لهذه الظاهرة ودورها الصواتي، والصيغة المناسبة لوصفها وتمثيلها بالإضافة إلى علاقتها بالملامح الصرفية والتركيبية، والعلاقات المتداخلة التي ينسجها مع الملامح التطريزية الأخرى، وخاصة العلو الموسيقي والنغم والتنغيم والطول في اللغات خاصة، إذ تعقد القضايا المثارة في هذا المقام تعدد الاصطلاحات المستعملة عند الإحالة على الظواهر النبرية؛ إذ يجد الدارس على سبيل المثال بالإضافة إلى النبر (stress) والتنبير، اصطلاحات من قبيل نبر تشديدي (accent) والبروز، والتفخيم (emphasis)، والصمت (silence)، والشدة، والقوة.

إذن، كيف يساهم النبر الفونولوجي في تشكيل المقاطع التطريزية؟

وما علاقته بالملامح التطريزية الأخرى؟

1- ملمح النبر

عرف ابن منظور النبر بقوله: " النبر بالكلام: الهمز، قال: وكل شيء رفع شيئا، فقد نبره، والنبر: مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزَه، وفي الحديث: قال رجل للنبي – صلى الله عليه وسلم: يانبيءَ الله، فقال: لا تنبر باسمي؛ أي لا تهمزْ"[2].

والنبر عند الأصواتيين يعرف بدرجة الضغط على الصوت (الحرف)، أو على مقطع معين من مقاطع الكلمة، والغاية من وراء ذلك الضغط هو الحصول على وضوح مميّز للمقطع (الحرف) المنبور دون غيره[3] فكان هذا هو الفرق بين المقطع المنبور والمقطع غير المنبور، فعندما تنطق الكلمات الآتية: قائم، جالس كاتب، عالم، سائق، فإن النبر واقع على المقطع (الحرف) الأول لكل كلمة من الكلمات المذكورة: (قا، جا، كا، عا، سا)، فهذه الأصوات أكثر وضوحا نطقا.

2- موضع النبر اللغوي وقواعده

يتفق الباحثون على أن موضع النبر اللغوي في العربية مرتبط بالبنية المقطعية للكلمة، وبالتالي فالنبر في العربية على عكس الإنجليزية فهو ثابت وقابل للتنبؤ، ولو أن النبر باعتراف الجميع هو ظاهرة فيزيولوجية –يحدث تغيرا في اهتزاز الحبال الصوتية، وضغطا أكثر في الجهاز التنفسي، ومجهودا متميزا في الجهاز الصوتي والحركات التلفظية– فأغلب الدراسات تبقى بعيدة عن المنهج التطبيقي والمختبري لدراسة النبر في العربية.

ونلاحظ أن أغلب الدراسات تبقى غامضة حين يتعلق الأمر بعلاقة النبر بالسوابق واللواحق، إلا دراستي الدكتور العاني وسليم[4]، اللذان يتحدثان عن درجات ممكنة للنبر كما هو الحال في الإنجليزية، فيدخلان مفهوم النبر الرئيسي والنبر الثانوي (أو الضعيف) والنبر الثلاثي، إلا أن أغلب الدارسين الآخرين لا يتطرقون إلا لنبر واحد، وهو النبر الرئيسي.

إن الدراسات التي أجراها علماء الأصوات، قد خلصت إلى ضبط قواعد النبر في اللغة العربية، فقد حددوا تلك القواعد على النحو التالي:

– نبر الكلمة التي تتألف من مقطع واحد، (أحادية الحرف) سواء أكانت فعلا أم اسما أم حرفا، فإن النبر يقع عليها، مثل: عُدْ، وتسمى مقطعا أحاديا.

-وإذا كانت الكلمة مكونة من مقطعين، فإن النبر الرئيس يقع على المقطع الثاني، والنبر الثانوي يقع على المقطع الأول، مثال: دارسْ، فالنبر القوي أو الرئيس في هذه الكلمات يقع على (دا) (س ح س) في دارس، وبضغط أقل على (رس) (س ح س) [5].

- وإذا كانت الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع، وكل مقطع يشتمل على صامت +صائت قصير، -وقد سبق لنا أن مثلنا لهذا النوع من النبر في موقع النبر القوي مثل: كتب، فإن النبر الأولي يقع على المقطع الثالث، والعد يبدأ من اليسار إلى اليمين، دَ= س ح، رَ= س ح، سَ= س ح، فموضع النبر هو: ك، بينما الكلمات التي تتضمن المقاطع القصيرة والمتوسطة، مثل: كلمة كتاب، فعدد مقاطعها ثلاثة: كتاب.

/كِ/ تَا / بُنْ/

/س ح/ س ح س / س ح س/.

فالنبر الأولي هنا يقع على مقطع (تا) أي؛ المقطع الثاني، والنّبر الثّانوي يقع على المقطع الأول.

وإذا كانت الكلمة مكونة من أربعة مقاطع، مثل: "استغفر، فالنبر يكون على المقطع الثالث من الشمال إلى اليمين في كلمة استغفر (تغ)، لأن المقطع الثاني (ف) مقطع قصير مكوّن من صامت + صائت = س ح، فالنبر الواقع عليه نبر ثانوي، وكذلك النبر الواقع على المقطع الرابع (ا س)، فنبره ثانوي أيضا"[6].

أما موضع النبر عند المحدثين اللسانين، فنجده يتحدد حسب ماكارثي Mc Cartly بقوله:

" يقع النبر على المقطع الأخير إذا كان ثقيلا جدا؛ أي على شكل " س ع ع س" أو " س ع س س "، مثال كلمة ك"كِتَابْ" موقوفا عليها بالسكون، وإلا وقع على المقطع على أساس أن لا يكون الأخير القريب من آخر الكلمة، ومثاله (مرسُولٌ) بالتنوين ـ mar sʊ̀u lun"

cvc cvv cvc

وإلا وقع على المقطع الأول، مثال: يَكتُبَا[7] yàktubba ,

cvc cv cvv

ويؤكد- ماكارثي- على أن النبر يقع على مقطع غير خفيف بغض النظر عن رتبته في الكلمة، بمعنى أن النبر يمكن أن يتجاوز في بعض حالات المقطع الثالث بداية من آخر الكلمة.

ومن الأمثلة التي قدمها لقواعده، يذكر أن الكلمات ذات البنية الشبيهة ب:

" أخو" و" رَمَى" (س ح + س ح س)، حيث يقع النبر على المقطع الأخير(- ـَمى و – خُو)، في حين أن تطبيق القواعد يؤدي إلى نبر المقطع القصير المفتوح " أَ-" و " رَ –".

أما قواعد العاني فيحددها في ثلاثة مستويات[8]:

يتحدث د العاني عن ثلاثة مستويات للنبر اللغوي: الرئيسي، والثانوي، والثلاثي، الذي يصفه بالضعيف غير الواضح: « weak- unmarked »

وحسب د العاني فإن الكلمات ذات المقطع الواحد تحتضن النبر الرئيسي، في حين يمكن للكلمات المتعددة المقاطع احتضان المستويات الثلاثة.

أما قواعده فتتحدد كالتالي:

- في الكلمات التي لا تشمل إلا المقاطع القصيرة المفتوحة (س ع)، يقع النبر الرئيسي على المقطع الأول، على نحو ما نجد في كلمة ضرب ـ dàraba في حين تنبر المقاطع الأخرى بالأنواع الضعيفة من: c´cvcv
- إذا كانت الكلمة لا تتضمن إلا مقطعا طويلا واحدا، فالنبر الرئيسي يقع على هذا المقطع كما في كلمة نَهْرٌ ـ nàhr ومَالْ ـ màal حال الوقف عليهما بالسكون.
- إذا تضمنت الكلمة مقطعين طويلين أو أكثر، فإن المقطع الطويل الأقرب من آخر الكلمة (على أساس أن لا يكون هو المقطع الأخير) أول الكلمة النبر الثانوي، مثل مُسْتَعْمَرَاتُهُمَا– mus tac ma ràa tu hu ma
v cv cv cvv´cvc cvc cv cv

حيث النبر الرئيسي يقع على المقطع الرابع (– را–)، والثانوي على المقطع الثاني – تَعْ– ابتداء من أول الكلمة.

أمابالنسبة لبرايم Brame فقد اقترح[9] من خلال قراءة نقدية لبحث داود عبده[10]، إدخال بعض التصحيحات البسيطة على قواعد هذا الأخير، وجاءت هذه الاقتراحات كالتالي:

✓ يقع النبر على الرتل الأقوى (Strong cluster) الأخير من الكلمة؛ أي على" س ع ع" أو" ع ع "، وإذا لم يوجد هذا النوع من الرتل، يقع النبر على المقطع الثالث بداية من آخر الكلمة، بالنسبة للكلمات المشتملة على أكثر من مقطعين، وعلى المقطع الأول بالنسبة للكلمات الأخرى، ففي كلمة سَافَرَ ـ Sàafara
vcvcv´cv

✓ ويقع أيضا على سا –وفي قَبْلَ ـ qàbla يقع النبر على قَبْ ـ[11].

إن ما يهمنا أكثر هو كون برايم وعبده، يتفقان على أن النبر لا يتجاوز أبدا المقطع الثالث بداية من آخر الكلمة؛ أي المقطع قبل ما قبل الأخير[12].

من هنا نستنتج أنه لا يمكن أن ننبر المقطع الأخير إلا إذا كان ثقيلا جدا؛ أي (س ع ع س cvvc) أو (س ع س س، cvcc).

- إذا كانت الكلمة تتركب من ثلاثة مقاطع قصيرة، ينبر المقطع الأول على أساس أن لا يكون مكونا من سوابق.
- إذا كانت الكلمة تشمل مقطعا غير قصير، وكان هذا المقطع هو ما قبل الأخير (pénultième) أو قبل ماقبل الأخير (Antépénultième)، فهو الذي يقع عليه النبر:

ففي كلمة "ر لَكَمَاه" مثلا ـ Lakamàahu يقع
Cv cv cv´v cv
النبر فيها على المقطع الثالث "– ما–"، وفي كلمة " يُدَاعِبُ" ـ yudàacibu
Cv cv´v cvcv

3–النبر وطبقة الصوت

إن مصطلح طبقة الصوت (Pitch) يطلق على الذبذبات الرئيسية لعدد من المقاطع المتتالية في التعبير، وتختلف درجة الصوت عن النبر لكونها لا تقوم على شدة الصوت أو طوله، وإنما ترتكز أساسا على الذبذبة الأولية النسبية المتتابعة داخل التعبير، وهي تدل على سرعة اهتزاز الحبال الصوتية المرافقة للأصوات المجهورة.

وإذا كانت طبقة الصوت تعمل عموما باستقلال عن النبر، فإنهما يتفاعلان في حالة المقطع المنبور.

وهناك أربعة مستويات لطبقة الصوت المتعارف عليها في الكتابة الموسيقية:

1- الهابط، وهو الأقل مستوى في طبقة الصوت، ويرمز له بالرقم (1).
2- المتوسط، وهو المستوى العادي، ويرمز له بالرقم (2).
3- العالي أو المرتفع، ويرمز له بالرقم (3).
4- المستوى الأعلى، ورمزه رقم (4).

وللإشارة فقط، فإن رموز طبقة الصوت تكتب قبل المقطع، باستثناء المقطع الأخير الذي يوضع الرمز بعده، فتكتب الجملة (حفظ الولد الدرس) كالتالي:

2 حفظ+ الولد+ 3 الدرس 1

وضعنا العلامة (/) رمزا للنبر، والعلامة ( ) رمزا للوقفة النهائية المنخفضة، وبالتالي دلالة على أن الجملة خبرية (Declarative statement)، أما فيما يتعلق بطبقة الصوت، فقد وضعنا الرقم (2) على المقطع الافتتاحي، والرمز (3) على المقطع الحامل للنبر، ثم الرمز(1) على المقطع الذي تليه الوقفة النهائية المنخفضة.

وإذا كانت الجملة تبدأ بمقطع يقع عليه النبر كما في (احْتَرِسْ منه):

- 4 احترسْ منه 1

فإننا نكتفي بوضع رمزين فقط للطبقة الصوتية: الأول رقم (4) رمز لها بقمة الطبقة الصوتية، وتوضع في الموضع الذي يتلقى القمة النبرية، والثاني رقم (1) وتوضع في نهاية الجملة؛ أي قبل الوقفة النهائية المنخفضة، وهذا يعني أن مستوى طبقة الصوت الأعلى يبدأ من أول مقطع في الجملة، ويستمر حتى المقطع الأخير من كلمة "منه".

وفي جملة (ضرب زيد عمرا).

- ضرب+ زيد + 2 عمرا 1

نلاحظ أن المقطع الافتتاحي في الجملة أخذ رقم (2)؛ أي أن طبقة الصوت عادية، وأن هذا المستوى العادي " يستمر من الناحية الوظيفية" من غير أي تباين حتى المقطع الأول من كلمة " عمرا" التي تبتدأ بالرقم (3)، وتنتهي بالرقم (1) في المقطع الذي تعقبه الوقفة النهائية ( )، وتدل على هبوط في طبقة الصوت.

نستنتج إذن من خلال الجمل الواردة أعلاه، أن الرقم (3) الدال على المستوى العالي أو المرتفع للطبقة الصوتية يقع غالبا على الجملة الخبرية، أما الرقم (4) فيقترن:

✓ **بألفاظ الطلب أفعالا أم أسماء أفعال نحو:**

*4 حَذار من 3 معاشرة أصدقاء السوء 1

* 4 توكّلت على 3 الله 1

وبوضع الرموز الخاصة بالنبر وبالطبقة الصوتية والوقفة، نلاحظ أن قمة الطبقة الصوتية قد جاءت على موضع القمة النبرية؛ أي على كلمة "حذار" في الجملة الأولى، وعلى" توكّلت" في الجملة الثانية، نظرا لأنهما الكلمتين المهمتين في كل جملة، ولكون الكلمات الطلبية – على العموم- تتلقى النبر القوي غالبا"[13]، ويعطي لها الرقم (4) الطبقة الصوتية[14] .

✓ **لأفعال الأمر**، كما في الجملة التالية:

*ابتَعد عن 3 النار 1

التي وقعت فيها القمة النبرية والطبقة الصوتية في نفس الموضع.

✓ **لأدوات النهي**، كما في جملة:

- 4 لا تسرع في 3 إصدار الأحكام 1

حيث تلقت أداة النهي "لا" الأحادية المقطع النبر، وتلقت الرقم (4) من حيث الطبقة الصوتية[15].

✓ **لألفاظ الانفعال**، كما في المثال التالي:

إذا لفظت كلمة "كلب" مثلا في معرض الانفعال، فإن هذه الأخيرة المتركبة من مقطع واحد (س ع س س) تتلقى النبر أعلى مستوى في الطبقة الصوتية[16].

انطلاقا مما سبق، نستخلص أن رموز مستويات الطبقة الصوتية تكتب في ثلاثة مواضع:

- أولا: في المقطع الافتتاحي من الجملة.
- ثانيا: في المقطع الذي يتلقى النبر.
- ثالثا: في المقطع الأخير الذي تعقبه مباشرة الوقفة النهائية.
- إن تلفظ كل مقطع من مقاطع الكلمة، إلا ويصاحبه مستوى من مستويات الطبقة الصوتية، وأحيانا من التشديد الناتج عن الاختلاف في درجة النبر.
- أن كل نطق يتضمن قمة واحدة من النبر، وقمة واحدة بالنسبة للطبقة الصوتية تنتهي بوقفة نهائية.
- أن النبر والوقفة وطبقة الصوت تسمى بالفونيمات فوق القطعية (Supra-segmental phonemes)، وتعد فروعا من نظام التشديد التمييزي (Accentual system) في اللغة التي تمكن الفونيمات عبر تفاعلاتها، إحداث بعض التمايزات على مستوى معنى الجملة المنطوقة، شأنها في ذلك شأن الفونيمات القطعية (الصوامت والصوائت).

5-علاقة المقطع اللغوي بالنبر اللساني.

تناول المقطع كل من إبراهيم أنيس، وتمام حسان، وكمال أبو ديب، وشكري عياد، وغيرهم من المختصين في علوم اللغة والتي منها: علم الأصوات، وعلم الإيقاع ومختلف البلاغات الأدبية، وقد كانت تعاريف النبر لا تخرج عن كونه " البروز والظهور"[17]؛ أي بروز الصوت في أحد المقاطع اللغوية على غرار المقاطع الأخرى المشتمل عليها اللفظ، وقد عبر عن ذلك إبراهيم أنيس قائلا:[18] " والمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه "النبر"، ما دام النبر بحكم تعريفه هو ازدياد وضوح مقطع من مقاطع الكلمة، في السمع عن بقية ما حوله من المقاطع، فإن "مرادفه السمعي" أو الأثر السمعي المرتبط به، هو " العلو" أو " الشدة" (Loudness)، حيث تكون المقاطع المنبورة في غالب الأحيان أكثر علوا من المقاطع غير المنبورة، لكن علاقة النبر " بالعلو" أو " الشدة"، قد تفقد خاصيتها في بعض المواضع، فمثلا حين ننطق كلمة "ماجدْ" بنغمة هابطة، سنلاحظ أن المقطع المنبور (مـَا ـ)، الأكثر بروزا يتوافر إضافة إلى النغمة الهابطة على درجة علو تجعله أكثر وضوحا لدى السامع، وإذا نطقنا الكلمة نفسها، لكن هذه المرة بنغمة صاعدة، سنلاحظ أن المقطع الثاني غير المنبور (– جِدْ) أكثر بروزا من المقطع الأول، حتى وإن كنا نحس أن الجهد العضلي الأقوى وقع على المقطع الأول "ما"، وكما أن للنبر علاقة مع " العلو" أو الشدة"، فإن له أيضا "علاقة مع طول المقطع"[19]، ففي كلمة " نَجَحَ" مثلا، نلفي

المقطع الأول " نَ" أطول من المقطعين الآخرين، رغم أن المقاطع الثلاثة التي تتركب منها الكلمة كلها مقاطع قصيرة (س ع)، ومرد ذلك إلى أن المقطع الأول " نَ –" هو المقطع المنبور، في حين أن الآخرين غير منبورين.

وفي هذا الصدد، يقول جورج بوهاس وجمال الدين كلغلي بأن: " المقاطع القصيرة المنبورة ليس لها نفس الخصائص الصوتية والصريفية التي تختص بها المقاطع القصيرة غير المنبورة خاصة وأنها أشد قوة"[20]، أما دة بلقايد، فتقول بأن " الصوائت المنبورة ليست أطول من الصوائت غير المنبورة".

وقد بين د الرجواني في دراسة تطبيقية –انطلاقا من تركيب الكلام بالحاسوب– حول النبر في العربية أن ثلاثة عناصر أساسية تتداخل لإسماع النبر، وأهميتها حسب الترتيب التالي:

الطبقة الصوتية أو الذبذبة الرئيسية (La fréquence fondamentale)، الناتجة عن اهتزاز الحبال الصوتية:

- قوة الصوت « Intensité » .
- طول الصائت المنبور « La durée » .

وهذا الترتيب مخالف في اللغة الفرنسية من حيث أن الطول يكون أهم من قوة الصوت"[21].

وهكذا فلا يمكن تفسير وتحليل ظاهرة النبر اللساني، إلا من خلال البنية المقطعية ومن خلال الوضوح السمعي (Sonorité)، فقد مكنتنا الدراسة العلمية للأصوات من تفسير عملية النبر الواقعة في الجهاز الصوتي (Appariel phonatoire)، للإنسان من خلال ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء، بحيث تساعده كمية علو الصوت وارتفاعه، في حين ينخفض صوت المقاطع غير المنبورة[22]

وذهب المستشرق فايل، هذا المذهب على أن " النبر هو الرابطة التي تربط المقاطع في وحدة(الكلمة) ولذلك فإن المرء يمكن أن يدعي أن قوة التذكر الكامنة في التفعيلات كانت إشارة إلى أن في كل تفعيلة مقطعا واحدا كان ينبر في كل حالة "[23]، وفي رأيه أن النبر يقع على السبب المكون منه الوتد المجموع في التفعيلة وهي كالتالي=(فعولن– مفاعيلن– مفاعلتن– مفعولات)، وأن الخليل أدرك هذا، غير أنه لم يعرف مصطلح النبر ولا المقطع اللغويين، وأننا نلحظ ذلك من خلال تشكيلة البحور، حيث قارن بين بحور واضحة النبر، وأخرى ملتبسة النبر ليكون البحر الأول دليلا مرشدا لبيان النبر في البحور الأخرى، فالمقطع المنبور في البحر يقابله مقطع منبور في البحور التالية له[24]، وقد أعطى الباحثان كمال أبو ديب وفايل أهمية بارزة للنبر في تشكيلة الإيقاع الشعري، حيث يعتبره هذا الأول، الفاعلية الجذرية في خلق الانتظام والتناسق وإعطاء الوحدات شخصيتها الإيقاعية،[25]ثم إن هذا الجدل القائم وتضارب الآراء حول إقامة أسس ونظم تحديد النبر الشعري الذي يساعد على تنشيط التفاعل الإيقاعي، والذي استنتجناه من عدة قراءات يحيل على الاجتهادات القرائية خاصة، في حين يبقى أن الإيقاع هو الوحده التي يحدد بها مدى تفاعل هذه المسوغات، والعناصر التطريزية التي تظهر وظيفتها بحيوية الإيقاع الذي يحرص على التفاعل بين النبر والتنغيم، داخل المقطع اللغوي وذلك من خلال النطق والسماع، وتوالي ذلك وتكراره بصيغة منظمة ومحكمة على أساس من التباعد (Distorsion) والتقارب (Accomodation) على الاعتدال والانسجام، وبما أننا درسنا الأصول الأولى لكل من المقطع اللغوي والنبر اللساني، رأينا أنه لم تكن هناك قوانين علمية صارمة تحكم قيمتهما اللغوية، في حين وجدنا علماء مجتهدين يقننون لهذه الأنظمة حديثا، حيث أن الإيقاع يتحدد من النبر دون المقطع هذا مالا نوافق عليه، وحجتنا في ذلك أن تركيبة اللغة من هذه النوى المقطعية ومالها من وقع في السمع بانضمامها إلى بعضها البعض، ولا سيما داخل البحور الشعرية في نظام محكم دليل على فاعليتها في بعث الإيقاع الشعري،"

أترى حين نخلط ذاك النسق على غير نظام لَمَا كان هناك شعر تستلذه الأذان وتستعذبه النفوس، وفي المقابل يتضاعف السير على هذا النسق المنظم بالضغط على أحد المقاطع اللغوية في السلسلة الصوتية، فيزيد الأصوات حلاوة ووضوحا سمعيا حتى تختلس الأذان هذه المقاطع المنبورة (Stressd syllable)، وتساعد في موسيقى الشعر وتتكرّر في نظام على طول الأبيات الشعرية"[26].

6- وظيفة النبر في اللغات

إن كل اللغات تتوافر على النبر، ولا تخلو لغة منه، وكل متحدث بلغة ما يبذل في نطق بعض المقاطع دون غيرها، جهدا أقوى يرافقه مستوى أعلى في طبقة الصوت، وأحيانا أيضا زيادة في طول المقطع المنبور، لكن الاختلاف يكمن في مستوى توظيف النبر، حيث أن استخدامه يختلف من لغة إلى أخرى، ذلك أنه في بعض اللغات يؤدي وظيفة التمييز بين نطق وآخر فيكون فونيما، وتسمى هذه اللغات باللغات النبرية (Stress Languages)، أما بالنسبة للغات غير النبرية فيكون فيها دائما على المقطع قبل الأخير (pénultième)، وفي اللغة الفرنسية على المقطع الأخير، ومن اللغات النبرية التي تستعمل النبر كفونيم ويكون موضعه فيها حرا وغير ثابت، نذكر مثلا اللغة الإنجليزية التي يؤدي اختلاف موقع النبر المعجمي فيها إلى تحديد صيغة الكلمة (اسما أم فعلا)، فإذا نطقنا كلمة " permit"، مثلا منبورة على المقطع الأول " per- "كانت اسما، أما إذا نطقناها بنبر المقطع الثاني" mit- "، فإنها تعد فعلا، ويمكن قول الشيء نفسه على الأمثلة التالية مثلا:

أسماء	أفعال
progress	progress
import	import
Present	Present
insult	insult
Torment	Torment

إن النبر في الإنجليزية ذو مستويات ثلاثة (primary , secondary, weak)، ولا يقتصر دوره في التمييز بين الاسم والفعل فقط، وإنما أيضا في التمييز بين وحدتين صوتيتين دالتين؛ أي بين معنيين، ومن ذلك كلمة "August"، التي تأتي بمعنى " شهر أغسطس" أو " علم على شخص" إذا نبر المقطع الأول منها، أما إذا نبر المقطع الثاني منها فإنها تأتي بمعنى " مهيب "أو "جليل"[27] .

ونلاحظ مع د غالب تحديده لموقع النبر في مثل هذه اللغات هو في غاية الأهمية، إذ أن أي اختلاف في تحديد موقعه في الكلمة ذاتها قد يؤدي إلى اختلاف في معناها أو بنيتها الصوتية، ولكن هذا لا يعني أن كل نبر في اللغة الإنجليزية يقوم بالتفريق بين صيغ الكلمات ومعانيها.وإذا كانت اللغات تختلف في استخدام النبر، فإنها تشترك – سواء النبرية منها وغير النبرية- في استخدامه للتعبير عن معان أخرى كالتأكيد (emphatic stress)، أو للدلالة على الانفعال، (emotional stress)[28].

خاتمة.

اتضح لنا من خلال هذا العرض أن النبر موجود في كل لهجات ولغات العالم، واللغة العربية إحدى هذه اللغات التي عرفت النبر منذ زمن بعيد، وذلك ثابت عند أصحاب القراءات القرآنية فكان للنبر حيزا ثابتا يرتبط بالمقاطع بأنواعها وأشكالها، فقد قدمت له وظيفة الميزان الصرفي لا وظيفة المثال، ولتحقيق موضع النبر في اللغة عامة والشعر خاصة فلابد من الدراسة المقطعية والملامح التطريزية الأخرى، فمناقشة أي ملمح يتضمن إحالات متكررة ومتقاطعة مع الملامح الأخرى التي تتعلق بتنظيمها، فمناقشة الطول مثلا يستلزم العودة إلى النبر، بصفته عاملا محددا في بعض اللغات، والنبر من جهته يعود إلى اعتبار بروز التنغيم، وتنظيم النغم يتضمن الطول والنبر معا. إذن فهناك ـ حتما ـ علائق وتفاعلات متبادلة بين هذه الملامح التطريزية، ولا أهمية لهذه الملامح في غياب الإنشاد، فبالإنشاد نستطيع تطريز الشعر، وتنغيم اللغة، ليصبح الشعر حيا، واللغة كفيلة أن تؤدي دورها في إيقاظ العقل وإنباهه.

الهوامش:

[1] اشتق مصطلح التطريز من المصطلح الإغريقي (Prosida)، وهو مصطلح موسيقي يدل أحيانا على ترنيم أغنية في الموسيقى، والدور الغنائي المصاحب لها، ويطلق أيضا على النبر والإيقاع والتنغيم، ينظر.

FOX .A(2000), Prosodic Features and Prosodic Structure.p:2.

[2] ابن منظور الإفريقي، " لسان العرب"، ج14، دار بيروت للطباعة والنشر، (د ت) (د ط)، صص: 18-19.

[3] إبراهيم أنيس،" الأصوات اللغوية"، دار وهدان للطباعة والنشر ط(1979)، ص: 169.

[4] H, Selim et T, Anbar:" A phonetic transcription system for Arabic language, proc IEEE, I , Cassl, Dallas , p-p :1446-1449, 1987.

[5] عصام نور الدين،" علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا"، دار الفكر اللبناني – بيروت، ط (1992) ص:111.

[6] عبد القادر عبد الجليل،" الأصوات اللغوية"، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط (1998)، ص: 252-253.

[7] Mc Carthy J: «On stress and syllabification",Linguistics Inquiry volume10 Number.3(1979), p:460.

[8] AL ANIm : Arabic phonology, Mouton, the Hague (1970), page :88.

[9] Brame, Michael K: "Stress in Arabic and generative phonology" , Fondation of Language; 7(1971), p p : 556-591.

[10] Abdo, Daud:"On stress and Arabic phonology, a generative approach", Beyrouth: khayats, 1969.

[11] Brame, Michael K: "Stress in Arabic and generative phonology" , Fondation of Language; 7(1971), p :558.

[12] G ; Bohas et Kouloughi : Processus accentuels en Arabes,parlers du Caire, de Damas et arabes classique , Analyse / Théorie 1(1981), page: 26.

[13] كمال إبراهيم بدري،" علم اللغة المبرمج، الأصوات والنظام الصوتي مطبقا على اللغة العربية"، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود- الرياض، ط (1988)، ص:150.

[14] المرجع نفسه، ص: 172.

[15] نفسه، ص: 172.

[16] نفسه، صص: 170-172.

[17] كمال بشر، " علم الأصوات"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، ط (2000)، ص:512.

[18] إبراهيم أنيس، " الأصوات اللغوية"، المرجع السابق، ص: 131.

[19] جورج بوهاس،" هل يمكن الحديث عن النبر في اللغة العربية الفصحى؟"، وقائع ندوة: البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة– البيضاء، ط (1984)، ص :209.

[20] G ; Bohas et Kouloughi: «Processus accentuels en Arabes, parlers du Caire, de Damas et arabes classique «Analyse / Théorie 1(1981), page : 34 ·

[21]A, Rajouani et autres ; "L'accent lexical en Arabe", page :173.

[22] تمام حسان، " اللغة العربية معناها ومبناها"، عالم الكتب – القاهرة، ط (1998)، ص:171.

[23] سيد البحراوي،" العروض وإيقاع الشعر "، محاولة لإنتاج معرفة علمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1993)، ص:121.

[24] سيد البحراوي،" العروض وإيقاع الشعر" المرجع نفسه، ص: 14.

[25] نفسه، ص:123.

[26] نفسه، ص: 123.

[27]أحمد مختار عمر،" دراسة الصوت اللغوي"، عالم الكتب ط (1986)، ص: 188.

[28] نفسه، ص:.190